

الحج وتنظيماته في الحجاز خلال العصر الأموي (41 - 132هـ/661 - 750م)

باحث - المملكة العربية السعودية

د. محمد عبد الكريم محمد الكنيدري

مستخلص:

تهدف هذه الدراسة للتعريف بالحج وتنظيماته في الحجاز خلال العصر الأموي (41 - 132هـ/661-750م)، وذلك من خلال تتبع وشرح مفهوم التنظيم والتعريف بالحج في عهد النبي صل الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده، وكذلك التعرف على الحجاز في فترة الدراسة، تتبع أهمية الدراسة من كونها عملت على تسليط الضوء على تنظيمات الحج في الحجاز وذلك لأهمية المنطقة من الناحية التاريخية والدينية والحضارية، اتبعت الدراسة المنهج التاريخي الوصفي التحليلي بغية الوصول لنتائج والتي من أهمها: كان خروج أول قافلة للحج في الإسلام من المدينة المنورة نحو مكة في ذي القعدة عام (9هـ) وضمت نحو ثلاثمائة حاج، وجد الحج عناية كبيرة من قبل الخلفاء الراشدين، كان معاوية ابن ابي سفيان يستخدم أسلوب اللين والترضية والملاطفة مع وجهاء مكة وبيداريهم ويفرق عليهم من العطايا ويغض عينيه عن كثير من تجاوزاتهم.

الكلمات المفتاحية: الحج، تنظيمات الحج، الحجاز، العصر الأموي.

Hajj and its organizations in Hijaz during the Umayyad era (41 – 132 AH /661- 750AD)

Dr. Mohamad Abdalkrem Alknidri

Abstract:

This study aims to introduce the Hajj and its organizations in the Hijaz during the Umayyad era (41 - 132 AH / 661 - 750 AD), by tracing and explaining the concept of organization and definition of the Hajj during the era of the Prophet, may God bless him and grant him peace, and the Rightly Guided Caliphs after him, as well as identifying the Hijaz during the period of study, The importance of the study stems from the fact that it shed light on Hajj organizations in the Hijaz Due to the importance of the region from a historical, religious and civilizational perspective, the study followed the historical, descriptive and analytical approach in order to reach results, the most impor-

tant of which are: The first Hajj caravan in Islam departed from Medina to Mecca in Dhul-Qi'dah in the year 9 AH and included about three hundred pilgrims. Hajj received great attention from the Rightly Guided Caliphs, Muawiyah Ibn Abi Sufyan used a method of leniency, appeasement, and courtesy with the notables of Mecca, treating them well, distributing gifts from them, and closing his eyes to many of their transgressions.

Keywords: Hajj, Hajj organizations, Hijaz, Umayyad er

مفهوم التنظيم :

النظم: مصدر نظم ينظم نظامًا، فهو ناظم ومنظوم، وقد جاء في معاجم اللغة أن مادة (ن ظ م) تفيد: التأليف والتركيب، وضم شيءٍ إلى آخر على نسق معين، كنظم الدر والخرز وغيرها. وكلمة النظم تطلق على الشيء المنظوم من باب الوصف بالمصدر مبالغة وتخفيفًا؛ كما في قوله تعالى ﴿وَإِنْ كُنَّ أُولَاتٍ حَمِيْلًا﴾⁽¹⁾، أو إن كن صاحبات محمولٍ في بطونهن. وكلمة نظم دلالتها دلالة مادية، فنظم الخرز أو الدر في السلك مظهر مادي مُحَسَّ ندرکه بأبصارنا، كما أن نظم الكواكب في السماء يبدو للناظر كجواهر نظمت في عقدٍ، تلك الرؤية أيضًا رؤية مادية وإطلاقنا كلمة النظم على حروف القرآن، وكلماته، وجمله، وآياته، وسوره، وموضوعاته، وكذلك على الشعر والكلام - من قبيل المجاز⁽²⁾. والنظم التأليف، نظمه ينظمه نظامًا ونظامًا، ونظمه فانتظم، وتنظم ونظمت اللؤلؤ؛ أي: جمعته في السلك، والتنظيم مثله، ومنه: نظمت الشعر ونظمتها، ونظم الأمر على المثل، وكل شيء قرنته بآخر أو ضممت بعضه إلى بعض فقد نظمتها، والنظم المنظوم وصف بالمصدر... والنظام ما نظمت فيه الشيء من خيط وغيره، وكل شعبةٍ منه وأصل: نظام، ونظام كل أمر: ملاكه، والجمع أنظمة وأنظييم... يقال: ليس لأمره نظام؛ أي: لا تستقيم طريقته، والنظام الخيط الذي ينظم به اللؤلؤ، وكل خيط ينظم به لؤلؤ أو غيره فهو نظام، وجمعه نظم... والانتظام الاتساق... وليس لأمرهم نظام؛ أي: ليس له هدي ولا متعلق ولا استقامة، وما زال على نظامٍ واحد؛ أي: عادةً، وتناظمت الصخور: تلاصقت⁽³⁾. والنظم: التأليف، وضم شيءٍ إلى شيءٍ آخر، والمنظوم... ونظم اللؤلؤ ينظمه نظامًا ونظامًا ونظمه: ألفه، وجمعه في سلكٍ، فانتظم وتنظم... والنظام: كل خيط ينظم به لؤلؤ ونحوه⁽⁴⁾. والنظم التأليف، وضم شيءٍ إلى شيءٍ آخر، وكل شيء قرنته بآخر فقد نظمتها. (و) النظم: (المنظوم) باللؤلؤ والخرز، وصف بالمصدر، يقال: نظم من لؤلؤ. والنظم: (الجماعة من الجراد)، يقال: جاءنا نظم من الجراد، وهو الكثير، كما في الصحاح، وهو مجاز... (و) النظم: (الثرثيا) على التشبيه بالنظم من اللؤلؤ... (ونظم اللؤلؤ ينظمه نظامًا ونظامًا)، بالكسر (ونظمه) تنظيمًا: (ألفه وجمعه في سلكٍ فانتظم وتنظم)، ومنه: نظمت الشعر ونظمتها، ونظم الأمر على المثل، وله نظم حسن، ودر منظوم ومنظم⁽⁵⁾.

مفهوم الحج لغة واصطلاحًا:

الحج لغة:

تناول اللغويون كلمة (الحج) كثيرًا وأسهبوا في تخريجاتها وصرفها، فقال الفراهيدي (ت ١٧٥هـ - 792م): هو كثرة القصد إلى من يعظم⁽⁶⁾، واحسب انه يريد بمن يعظم الجهة أو المكان الذي

يعظمه الناس ويحتل لديهم منزلة كبيرة، في حين نجد ابن دريد (ت321هـ) قد اكتفى بقوله إن مفردة (الحج) تعني القصد⁽⁷⁾ فقط، وهو بذلك يعطي تعميماً لهذه الكلمة في تناوله إياها، ولعلنا نجد ابن منظور، أكثر من غيره تخريجاً لهذه المفردة إذ قال: « الحج يعني القصد، وهو كثرة الاختلاف والتردد، ثم تعورف استعماله في القصد إلى مكة للنسك»⁽⁸⁾.

الحج اصطلاحاً:

يعني قصد التوجه إلى البيت بالأعمال المشروعة فرضاً وعمام، والحج إلى مكة خاصة⁽⁹⁾. وعلى الرغم من ورود العديد من التعريفات في المعنى الاصطلاحي لمفردة الحج، إلا أنها لا تخرج جميعاً عن قصد موضع مخصوص هو البيت الحرام، في وقت مخصوص وهو شهر ذي الحجة، للقيام بأعمال مخصوصة وهي الوقوف بعرفة، والطواف، والسعي⁽¹⁰⁾، وبذا يقترب المعنى الاصطلاحي للفظ الحج من دلالتها اللغوية. ويرتبط مع المدلول الاصطلاح لمفردة الحج مدلول اصطلاح آخر وهو مفردة الموسم الذي يعني لغة الوسم، وهو أثر الكي⁽¹¹⁾. وفي الاصطلاح ارتبطت بتجميع الناس أي وقت ومكان معلومين⁽¹²⁾، وبناء على هذا المفهوم صح ارتباطها بالحج والأعياد والأسواق، بيد أن اقترائها بالحج شهر، لكونه يحمل معنى دينياً وقومياً. وسمى الحج موسماً لأنه معلم يجتمع فيه الناس⁽¹³⁾.

ثانياً: تنظيمات الحج قبل فترة الدراسة:

تنظيمات الحج في عهد النبي محمد ﷺ :

إن فريضة الحج ركن من الأركان الأساسية في الإسلام وان من مهمات الدين وأفضل شرائع المسلمين بعد الصلاة، الحج إلى بيت الله الحرام، وقد قبض الله سبحانه وتعالى لخدمة هذين الحرمين الشريفين (مكة والمدينة) وفي كل العصور الخلفاء والملوك والسلطين والأمراء والأعيان للقيام بتلك الخدمة الجليلة⁽¹⁴⁾، فكان عتاب ابن أسيد أول من حج بالمسلمين بعد فتح مكة عام (8هـ/629م) وهو أول أمير أقام الحج في الإسلام⁽¹⁵⁾. وفي عام (9هـ/630م) أوكل الرسول ﷺ إلى أبو بكر رضي الله عنه الخروج بالحجيج، ومنع الكفار من الاشتراك فيه⁽¹⁶⁾، فكان خروج أول قافلة للحج في الإسلام من المدينة المنورة في ذي القعدة عام (9هـ) وضمت نحو ثلاثمائة حاج⁽¹⁷⁾.

إن اختيار الرسول ﷺ لأبي بكر الصديق أصبح تقليداً مأخوذاً به في العصور الإسلامية اللاحقة، إذ يتولى الشخص الموكل بهذه المهمة الكبيرة رعاية قافلة الحج التي تخرج من عاصمة الدولة أو من المراكز الأخرى، من قبل الخليفة أو أمير الحج الذي ينتدبه الخليفة. وفي عام (10هـ/631م) عزم الرسول ﷺ على الحج، فبدأ الاستعداد والتنفيذ من خلال إعلام المسلمين أولاً إن الله عزوجل فرض عليهم الحج، وإن الرسول ﷺ عازم على الحج هذا العام، وما إن إذن المؤذن بذلك حتى قصد المدينة خلق كثير لمرافقته والافتداء به⁽¹⁸⁾.

خرج الرسول ﷺ في اليوم الخامس والعشرين من ذي القعدة من المدينة سالكا طريق الشجرة⁽¹⁹⁾، وعلى طول الطريق من المدينة إلى مكة استمر المسلمون الذين لم يدركوا خروجه ﷺ من المدينة ينظمون إليه، حتى قدر عددهم بأكثر من مائة وأربعة عشر ألفاً، حتى إن لقب الصحابي ناله الكثير منهم من مرافقة الرسول ﷺ في حجته هذه فقط⁽²⁰⁾. وهذه الحجة عينت مواقيت الإحرام الزمانية والمكانية وفيها كسا ﷺ الكعبة الشريفة الثياب اليمانية⁽²¹⁾، وعرفت هذه الحجة بحجة الوداع⁽²²⁾.

تنظيمات الحج في عهد الخلفاء الراشدين ﷺ:

تولى عمر بن الخطاب ﷺ إمارة الحج عام (11هـ/632م)، نيابة عن الخليفة أبي بكر الصديق ﷺ⁽²³⁾، الذي شغلته الحوادث السياسية التي رافقت توليه الخلافة والمتمثلة بارتداد بعض القبائل في أنحاء شبه الجزيرة العربية⁽²⁴⁾. ولما كان بقاء الخليفة في المدينة أمر لا بد منه، ليكون اقدر وأسرع في اتخاذ الإجراءات اللازمة عند الضرورة، كان لا بد له من اختيار نائب عنه يكون أميراً للحج في هذه العام وكان عمر بن الخطاب ﷺ نائبه. ويبدو أن اختيار الخليفة لعمر جاء لضرورة ملحة وهي الإفادة من اجتماع الناس عند حضورهم موسم الحج من كل حذب وصوب لتبليغ سياسته، وخاصة ان المرتدين لم يتعرضوا لفريضة الحج. وفي عام (12هـ/633م)، حج بالناس الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ⁽²⁵⁾، واستخلف على المدينة عثمان بن عفان ﷺ⁽²⁶⁾، وخرج من المدينة للبتين بقيتا من ذي القعدة، سالكا الطريق الذي سلكه الرسول ﷺ وهو طريق الشجرة، واحرم من ذي الحليفة وقدم مكة لسبع خلون من ذي الحجة، وخطب بالناس قبل التروية بيوم واحد في المسجد الحرام ورمى الجمار ماشياً ذهاباً وإياباً، اقتداءً بعام الرسول ﷺ، وكسا الكعبة الخبز اليمانية⁽²⁷⁾. وعني الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ بشؤون الحج فكان يشرف على أعماله طوال سني خلافته (23-13هـ / 643-634م)، ولم يفته حضوره إلا في العام الأولى من خلافته، إذ حج بالناس عبدالرحمن بن عوف ﷺ⁽²⁸⁾، ويبدو أن للأوضاع السياسية غير المستقرة في جبهتي العراق والشام أمام الفرس والروم، أثر في ذلك في الوقت الذي كان فيه موعد الحج يقترب، فأرسل عبدالرحمن بن عوف نيابة عنه. واستغل الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ مواسم الحج ليلتقي بعماله على الأمصار فكان يكتب إليهم أن يوافوه بالموسم في كل عام، وهذه تكون بمثابة المؤتمرات السنوية لذلك أصبح موسم الحج وسيلة اتصال وتفاعل ومراقبة، ولم تقتصر هذه المؤتمرات على الولاة الرئيسيين في الأمصار، بل امتدت إلى ولاة المصر الواحد⁽²⁹⁾، وكان يستمع إلى شكاوي الناس على ولايتهم ويحاسبهم حساباً عسيراً إذا وجد أحدهم مقصراً⁽³⁰⁾. وثابر الخليفة عثمان بن عفان ﷺ على الحج في سني خلافته (35-23هـ / 655-643م) إلا في السنتين الأولى والأخيرة منها، ففي عام (24هـ / 644م) كان بسبب الرعاف الذي أصابه مع الناس حتى خشي عليه، وكان يقال لهذه العام عام الرعاف⁽³¹⁾، وقد ناب عنه عبدالرحمن بن عوف في إقامة المناسك للناس⁽³²⁾، أما العام الأخيرة وهي عام (35هـ/655م)، فهي العام التي حوصر فيها، فتاب عنه عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب رضي الله عنهم، لإقامة الحج⁽³³⁾. وعندما بعثه على الحج، كتب الخليفة عثمان بن عفان ﷺ بكتاب أرسله إلى أهل الموسم⁽³⁴⁾، يسألهم فيه أن يأخذوا له بالحق ممن حاصروه، وقد قرأ ابن عباس الكتاب في مكة على الناس قبل يوم التروية بيوم واحد⁽³⁵⁾. وعندما حج الخليفة عثمان ﷺ عام (26هـ/646م)⁽³⁶⁾، أمر بتجديد أنصاب الحرم ووسع المسجد الحرام، إذ أن المسجد ضاق بالحجاج بعد أن امتدت الفتوحات الإسلامية، وأزداد معتنقو الإسلام، فقام الخليفة عثمان ﷺ بشراء دور بعض الناس وأضافها إلى المسجد⁽³⁷⁾، وكسا الكعبة القباطي مثلما كساها عمر بن الخطاب ﷺ⁽³⁸⁾، وقد حج الخليفة عثمان بن عفان ﷺ بأزواج النبي ﷺ⁽³⁹⁾، وفي حجته عام (29هـ / 649م) ضرب فسطاطه بمنى، وهو أول فسطاط ضرب بها، وأتم الصلاة بها وبعرفة⁽⁴⁰⁾. أما الخليفة علي بن أبي طالب ﷺ فإن الظروف العامة المتمثلة بالصراع الذي كان دائراً بينه وبين معاوية بن أبي سفيان فرض عليه أن يغيب عن موسم الحج طوال سنوات خلافته(40-35هـ / 656 - 661م).

إلا أنه بوصفه خليفة للمسلمين كان من واجبه أن يولي الحج اهتماماً كبيراً لأنه ركنٌ من أركان الإسلام ولذلك حرص على تسيير قوافل الحجاج سنوياً لأداء فريضة الحج، وإرسال من ينوب عنه في إقامة مناسك الحج للناس⁽⁴¹⁾. وقد اختلفت الروايات في من ناب عن الخليفة عام (36هـ/656م) لإقامة مناسك الحج، إلا أننا نرجح أن يكون عبيد الله بن عباس رضي الله عنهم، هو من ناب عنه، وذلك لأن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم، كان منشغلاً مع الخليفة في حربه ضد معاوية رضي الله عنه بصقين، كان رفيق الخليفة في طريقه إلى صفين⁽⁴²⁾. وفي عام (37هـ/657م) حج بالناس عبيد الله بن عباس نيابة عن علي رضي الله عنه إذ حالت الظروف السياسية دون حج الخليفة فضلاً عن حرب صفين وقضية التحكيم وكان الشقاق في صفوف جيشه لقبوله التحكيم سبباً أساسياً في منعه من أداء فريضة الحج هذه العام⁽⁴³⁾. وفي عام (38هـ/658م) ناب عن علي في إقامة الحج للناس قثم بن العباس ابن عبدالمطلب⁽⁴⁴⁾، أما الستتان الأخيرتان من خلافة علي رضي الله عنه في عام 39 و40هـ فقد شهدتا صراعاً حول ولاية الحج فكان هذا الصراع مؤشراً مهماً لبدء اتجاه جديد فيما يتعلق بالإمارة على الحج، فهي لم تعد مجرد منصباً دينياً وإدارياً حسب، وإنما أضيف إليها بعد سياسي كونها رمزاً من رموز السياسة والتحكم.

ففي عام 39هـ/659م، أرسل علي رضي الله عنه قثم ابن العباس أيضاً ليحج بالناس نيابة عنه⁽⁴⁵⁾، في حين قام معاوية بن أبي سفيان بإرسال يزيد بن شجرة الرهاوي⁽⁴⁶⁾، إلى مكة، ليقيم الحج للناس نيابة عنه ويأخذ له البيعة بمكة، فسار يزيد في ثلاثة آلاف فارس إلى مكة، وبها قثم بن العباس عامل علي رضي الله عنه، وكاد القتال يقع في مكة، إلا أنهم وقعوا صلحاً بينهم على أن يعتزل كل منهما الصلاة بالناس ويختار الناس من يصلي بهم ويحج بهم، فوقع الاختيار على شيبه بن عثمان⁽⁴⁷⁾، فصلى وحج بهم⁽⁴⁸⁾. وشهد هذا الموسم اجتماع نفر من الخوارج في مكة، وقد اتفقوا على قتل علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العاص رضي الله عنه، وقد قام الخارجي عبدالرحمن بن ملجم بطعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه⁽⁴⁹⁾، وباستشهاد علي رضي الله عنه، بوبع بالخلافة بعده ابنه الحسن رضي الله عنه، الذي تنازل عن الخلافة بعد مدة وجيزة لمعاوية بن أبي سفيان⁽⁵⁰⁾. وفي عام (40هـ/660م)، ونتيجة لتلك الحوادث، حج بالناس المغيرة بن شعبة رضي الله عنه⁽⁵¹⁾، بعد أن افتعل كتاباً عن معاوية أنه ولاه إمارة الحج⁽⁵²⁾، قام بتقديم الحج يوماً واحداً خشية أن يجيء أمير أو أن يفطن لفعله، وخاصة أنه بلغه أن عتبة بن أبي سفيان (ت44هـ) سيصل أميراً على الموسم، لذلك عجل بالحج، فوقف الناس يوم التروية، وضحوا يوم عرفة، ودعوا لمعاوية⁽⁵³⁾.

ثالثاً: الأوضاع السياسية في الحجاز خلال فترة الدراسة:

الحجاز:

الحجاز منطقة تاريخية وتعد أحد أقاليم شبه الجزيرة العربية الجغرافية الخمسة يقع في الجزء الشمالي الغربي والجزء الغربي من شبه الجزيرة العربية والحجاز في الأصل عبارة عن سلسلة جبلية ممتدة على طول ساحل البحر الأحمر في الجانب الغربي من شبه الجزيرة العربية، وسميت بالحجاز لأنها تحجز نجد عن تهامة، كما أن الأصمعي عندما قام بوصف الحجاز قال: إنها تبدأ من تخوم مدينة صنعاء إلى تخوم الشام، وقال إنها سميت بهذا الاسم لأنها تحجز نجد عن تهامة، ومن هنا فمكة هي مدينة تهامية، أما المدينة المنورة فهي من المدن الحجازية⁽⁵⁴⁾. وسميت بالحجاز لأنها تحجز نجد عن تهامة. والحجاز: سلسلة جبال السراة التي تحجز ما بين نجد وتهامة، ولذلك سمي حجازاً⁽⁵⁵⁾، وهي منطقة ذات طبيعة جبلية تمتد من اليمن جنوباً حتى العقبة شمالاً⁽⁵⁶⁾، وأهم ما يميز الحجاز من المدن مكة والمدينة، والطائف، وخيبر والجار وفدك⁽⁵⁷⁾.

تحولت أوضاع بلاد الحجاز السياسية بعد استشهاد الخليفة على بن أبي طالب عليه السلام، وتمثل ذلك التحول في زعامة الدولة الإسلامية، إذ أعلن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه الخلافة، التي بقيت وراثية في ذريته حتى سقوط الدولة في عام 132هـ⁽⁵⁸⁾.

لذلك فقد كان خلفاء بني أمية يدركون الدور الكبير والهام الذي يمكن أن يلعبه أبناء الحجاز من غير البيت الأموي في زعزعة الأمن فيه وإضعاف سيطرتهم عليه لذلك اتسمت سياسة خلفائهم بالحرص على أن يكون ولاة مكة من البيت الأموي أو ممن يوالونهم⁽⁵⁹⁾. ولقد سلك خلفاء بني أمية في تعاملهم مع أهل الحجاز مسلكاً خاصاً فلطالما نهجوا سياسة المهاندنة والملاطفة مع أهل الحجاز عامة وأهل مكة بخاصة وهذا هو مؤسس الدولة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه يوجه ابنه يزيد وهو يهيئه لولاية العهد بأن يتوخى الحذر الشديد من أهل الحجاز وإعطائهم الرعاية والاهتمام الذي يستحقانه وذلك في وصيته له إذ يقول «انظر إلى أهل الحجاز فإنهم أصلك فأكرم من قدم إليك منهم وتعاهد من غاب»⁽⁶⁰⁾.

بل إن معاوية نفسه استخدم أسلوب الدين والترضية والملاطفة مع وجهاء مكة وديارهم ويفرق عليهم من العطايا ويغض عينيه عن كثير من تجاوزاتهم، ويصفح عن ما يلاقيه من قوة وحدة أئنا مخاطبتهم إياه فهو الذي يعطي المقارب ويداري المباعد ويلطف به حتى استوثق له أكثر الناس⁽⁶¹⁾. فزاه يستقبل أشرف الناس وكبرائهم من مكة خاصة والحجاز عامة أمثال: عبدالله بن العباس، وعبدالله بن الزبير، وعبدالله بن جعفر الطيار، وعبدالله بن عمر، وعبدالرحمن بن أبي بكر، وأبان بن عثمان - رضي الله عنه - وغيرهم ناس كثير من آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم. فيكرم مثوهم ويحسن قراهم ويقضى حوائجهم ويعيدهم إلى ديارهم محملين بالهدايا⁽⁶²⁾. وهكذا تهيم مهمة الحجاج بنجاح وعاد الحجاز إلى حظيرة الدولة الأموية. ولعل زيارة الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه لمكة عام (56هـ) برفقة ابنه يزيد لتأدية فريضة الحج، ومعرفة وجهات نظر كبار أبناء الصحابة رضي الله عنهم حول موضوع ولاية العهد إشارة إلى قوة التيار المعارض بها، بل ورفضها لمبدأ التوريث الذي يناقض في نظرهم ما كان سائداً في عصر الخلافة الراشدة. ثم ما تلا ذلك من الحوادث المتتالية والتي نجحت في الفترة (63 - 73) في استقلال الحجاز مدينتيه المقدستين عن الخلافة الأموية إشارة أخرى أشد وضوحاً وأبلغ وقعاً مما سبقها من حوادث لذلك كان موقف هؤلاء هو الرفض بحجة أن هناك من هو أحق وأجدر من يزيد فتشير الروايات التاريخية إلى أن معاوية تشدد مع هؤلاء المعارضين وأخذ البيعة منهم بينما يرى بعضهم أن معاوية قد تألف القوم ولم يكرههم على البيعة وعلى أية حال فلا نجد من ولايات الدولة الإسلامية غير ولاية الحجاز تنفرد بهذا الموقف المعارض والرافض لهذا المبدأ، فلم يشأ معاوية أن يترك الأمر لولائه لتقرير هذا الموضوع مع أهل الحجاز لأنه الوحيد الذي يعلم حقيقة هؤلاء وتوجهاتهم فعزم على القدوم بنفسه لمعالجة الأمر بالطرق التي أشرنا إليها⁽⁶³⁾. ولم تحظ ولاية من ولايات الدولة الإسلامية مثلما حظيت به مكة المكرمة بخاصة وإقليم الحجاز بعامة في عهد بني أمية بزياراتها وتفقد أحوال أهلها وإيلائهم الرعاية والعناية التي يستحقونها فقد زارها معظم خلفاء بني أمية سواء للحج أو لتأكيد سلطتهم عليها أو لتألف أهلها والاطمئنان على ولائهم للسلطة في دمشق فقد زارها الخليفة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه مرتين عام 44 و50هـ⁽⁶⁴⁾.

فقد زارها عبدالملك بن مروان عام 75هـ⁽⁶⁵⁾. وكذلك الوليد بن عبدالملك عام 91هـ⁽⁶⁶⁾. ومن بعده سليمان بن عبدالملك عام 97هـ⁽⁶⁷⁾. وكذلك هشام بن عبدالملك عام 106هـ⁽⁶⁸⁾. وربما وجد عبدالملك بن مروان

أن انقطاعه القسري عن أداء الحج وإقامته للمسلمين في الفترة التي سيطر فيها عبدالله ابن الزبير رضي الله عنه على مكة قد أضعفت من هيبة الدولة وافقدها شيئاً من الشرعية مما جعل موقفها حرجاً أمام رعاياها من المسلمين وقد أشار اليعقوبي إلى شيء من هذا بقوله: «إمّا تحق الخلافة لمن كان الحرمان في يده، ولمن أقام الحج للناس»⁽⁶⁹⁾.

فاتجه إلى انتهاج سياسة الملاطفة مرة أخرى والابتعاد بالحجاز وأهله عن كل ما يؤثر على علاقته بالدولة فعندما شكّا إليه محمد بن الحنفية من جور الحجاج وتخوفه منه وناشد الخليفة عبدالمملك أن لا يجعل للحجاج ابن يوسف الثقفي عليه سلطاناً بيد ولا لسان كتب إليه الخليفة وهو حينئذ والي الحجاز بقوله: «إن محمد بن الحنفية كتب يستعفيني منك وقد أخرجت يدك عنه، فلم اجعل لك عليه سلطاناً بيد ولا لسان فلا تتعرض له»⁽⁷⁰⁾.

على أن ذلك لم يكن ليمنع الخلفاء من اتخاذ الحيطة والحذر في تعاملهم مع ولاتهم بوجه عام وولاتهم على مكة بوجه خاص فيزيد بن معاوية أمر بعزل ابن عمه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان واليه على المدينة عام 60 هـ لأنه فشل في نظره في أخذ التدابير اللازمة لأخذ البيعة له من الحسين بن علي وعبدالله بن الزبير - رضي الله عنه - وعين بدلا منه عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية المعروف الأشدق⁽⁷¹⁾.

غير أنه تعرض للمسائلة واللوم من قبل الخليفة الذي قرر إبعاده عن ولاية الحجاز بما فيها مكة بعد أن تقدم إبراهيم بن طلحة التيمي بشكوى إلى الخليفة الأموي من بطش الحجاج ضد أهل الحجاز حيث يقول: «يا أمير المؤمنين لقد عمدت إلى الحجاج في تغطرسه وتعجرفه. فوليته الحرمين وهما ما هما وبهما مابهما من المهاجرين والأنصار والموالي الأخيار يطوهم بطغام أهل الشام ويسومهم الخسف بعد الذي كان من سفك دماهم وما انتهك من حرمهم»⁽⁷²⁾. وفي موقف آخر نجد الوليد بن عبدالمملك يتخذ موقفاً من ابن عمه وواليه على مكة من عام ٨٩ إلى ٩٣ هـ وهو عمر بن عبدالعزيز والذي كانت سيرته في أهلها سيرة حجاج حتى غدت فترة ولايته من أزهى الفترات وأصبح الإقليم مضرراً للمثل في الطمأنينة والأمن والأمان فلجأ إليه المضطهدون من الأقاليم الأخرى وبخاصة من العراق الأمر الذي لفت نظر الخليفة وخشى من تكاثر أعداد هؤلاء في الحجاز مع ما يمثله الحجاج من حساسية سياسية للخلافة فرمى شكل هؤلاء جبهة معارضة لها أو قاعدة للخروج على الحكم الأموي لذلك عجل بعزل عمر بن عبدالعزيز بناء على مشورة من الحجاج، والذي صور الأمر للخليفة بأن ما يحدث من لجؤ هؤلاء بأعداد كبيرة إلى الحجاز يعد وهناً في الدولة وربما شكلاً أثاراً لا تحمد عقبها على الخلافة⁽⁷³⁾. وتولى بعده خالد بن عبدالله القسري الذي وجهه الخليفة ليكون حازماً في أمر أولئك النفر فاستهل ولايته بخطبة في أهل مكة حملت في طياتها الوعيد الشديد بشق عصا الطاعة للخليفة والتستر على أهل الخلاف ممن قدم إليها من أقاليم الدولة المختلفة بقوله: «أيها الناس عليكم بالطاعة ولزوم الجماعة وإياكم والشبهات فإنني والله ما أوتي بأحد يطعن على إمامه إلا صلبته في الحرم، إن الله جعل الخلافة منه بالموضع التي جعلها فسلموا وأطيعوا. واعلموا انه بلغني أن قومًا من أهل الخلاف يقدمون عليكم. . فإياكم أن تنزلوا أحدًا ممن تعلمون أنه زائغ عن الجماعة»⁽⁷⁴⁾. وقد استمرت هذه السياسة من قبل خلفاء بني أمية تجاه الحجاج بحرصهم على إرضاء بقدر الإمكان وعدم تعرضهم للمهانة أو التحقير أو مضايقتهم في أمر من الأمور فنجد الخليفة يزيد بن عبدالمملك بعد أن عين عبدالرحمن بن الضحاك بن

قيس الفهري عام (101هـ). فنهج هذا منهجاً قاسياً ضد أهل المدينة ومكة ولقوا منه عنتاً شديداً فتعرض لفاطمة بنت الحسين بن علي - رضي الله تعالى عنهم - بغية إكراهها على الزواج منه فشكت أمرها إلى الخليفة مما أثار غضبه منه فأمر بعزله واستبداله بعبد الواحد

النتائج:

من النتائج التي خرجت بها الدراسة:-

- ان الحج محل تقدير واهتمام منذ حياة النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده.
- اهتم خلفاء الدولة الاموية بالحج بصورة كبيرة وعملوا على حماية قوافله طوال سنين حكمهم.
- كانت بلاد الحجاز والحرمين محل تقدير عند الأمويين.

الهوامش:

- (1) الطلاق: آية 6.
- (2) ابن الأثير: ضياء الدين نصر الله بن محمد (ت 637 هـ 1233م)، المعجم المفصل في علوم البلاغة، تحقيق: أحمد الحوفي القاهرة: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ج1/ ص82، ص: 637.
- (3) ابن منظور: جمال الدين بن منظور الإفريقي المصري (ت 711هـ 1311م)، لسان العرب، بيروت: دار صادر، ج12، ص578.
- (4) الفيروزآبادي: مجد الدين (ت 817هـ 1415م)، القاموس المحيط»، تحقيق: مكتب تحقيق: التراث في مؤسسة الرسالة، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 1426هـ/2005م، ج1، ص1162.
- (5) الزبيدي: محمد بن محمد، (ت 1205هـ/1790م)، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مصطفى حجازي، الكويت: مطبعة حكومة، 1969م، دار الهداية، ج33، ص296.
- (6) الفراهيدي: أبو عبد الرحمن بن أحمد (ت 175هـ 792م)، العين: تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، بغداد: دار الرشيد، 1981م، ج3، ص9.
- (7) ابن دريد: أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري (ت 321هـ 933م)، جمهرة اللغة، بيروت: دار صادر، (د. ت)، ج1، ص29.
- (8) ابن منظور: لسان العرب، م2، ص226، الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مصطفى حجازي، الكويت: مطبعة حكومة، 1969م، م5، ص259.
- (9) الفراهيدي: العين، ج3، ص9، ابن المنصور: لسان العرب، م2، ص226.
- (10) الزبيدي: السيد محمد مرتضى الحسيني (ت 1205هـ/1890م)، اتحاف السادة المتقين بشرح احياء وعلوم الـدين، بيروت: دار الكتب العلمية (1409هـ/1989م)، مج 2، ص452.
- (11) ابن منظور: لسان العرب م16، ص122-123.
- (12) ابن دريد: جمهرة اللغة، ج3، ص53.
- (13) ابن منظور: لسان العرب، ج12، ص636.
- (14) الرشدي: أحمد، حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحج، تحقيق: ليلى عبداللطيف، القاهرة: 1400هـ/1980م، ص86.
- (15) الهاشمي: أبو جعفر محمد (ت 245هـ)، المحبر، بيروت: دار الآفاق الجديدة، 1921، ص11.
- (16) ابن هشام: عبد الملك المعافري، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا، القاهرة: مكتبة مصطفى الباي، 1955م، ج2، ص188.
- (17) الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: مطابع دار المعارف، 1967م، ج2، ص122؛ الفاسي: تقي الدين محمد بن أحمد: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: محمود محمد الطناحي، القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، 1962م، ج2، ص267.

- (18) النسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي، (ت303هـ/915م) سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية الأمام السندي، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، 1930م، ج5، ص156.
- (19) طريق الشجرة: نسبة إلى شجرة سمرة، كان الرسول صلى الله عليه وسلم يصلي بقربها، وقد بني في موضعها مسجداً، عرف بمسجد الشجرة. البكري: أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز الأندلسي، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصطفى السقا، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 1925م، ص262.
- (20) الفاسي: (832هـ) العقد الثمين، ص268.
- (21) الأزرقى: أبو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، تحقيق: رشدي صالح الملحس، مكة المكرمة: دار الأندلس، 1385هـ، ج1، ص253.
- (22) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج3، ص152، 183.
- (23) ابن حبيب: أبو جعفر محمد البغدادي، (ت225هـ)، المنمق في أخبار قريش، صححه وعلق عليه: خورشيد أحمد فاروق، بيروت: عالم الكتب، 1205هـ/1985م، ص12.
- (24) ابن قتيبة: أبو محمد عبدالله بن مسلم، الأمانة والسياسة (منسوب)، تحقيق: طه محمد الزيني، القاهرة: مطابع سجل العرب، 1967م، ج1، ص22-23.
- (25) ابن الاثير: عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم: الكامل في التاريخ، تحقيق: أبو الفدا عبدالله القاضي، بيروت: دار الكتب العلمية، 1987م، ج2، ص251.
- (26) الطبري: الرسل والملوك، ج3، ص386.
- (27) ابن حبان: محمد بن أحمد أبي حاتم، الثقات، ج2، الهند: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، 1975، ص182؛ الأزرقى: أخبار مكة، ج1، ص253.
- (28) ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص17.
- (29) الطبري: الرسل والملوك، ج2، ص155.
- (30) ابن شيبه: أبو زيد عمر النميري البصري (262هـ)، تاريخ المدينة المنورة، ج3، تحقيق: فهد محمد شلتوت، جدة: دار الإصفهاني: أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد، الأغاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، القاهرة: دار الشعب، 1393هـ/1969م، ج4، ص806.
- (31) ابن كثير: عماد الدين إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، البداية والنهاية في التاريخ، بيروت: مكتبة المعارف، (د.ت)، ج7، ص156؛ ابن شبه: تاريخ المدينة المنورة، ج3، ص1028-1029.
- (32) ابن حبيب: المنمق في أخبار قريش، ص15.
- (33) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج2، ص229.
- (34) المصدر نفسه، ص207-211.
- (35) المصدر نفسه، ص211.
- (36) المصدر نفسه، ص251.

- (37) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج2، ص281.
- (38) الأزرقى: أخبار مكة، ج1، ص253.
- (39) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج3، ص70.
- (40) المقريزي: أحمد بن علي بن عبد القادر: الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف و الترجمة والنشر، 1955م، ص22.
- (41) المسعودي: أبي الحسن علي بن الحسين بن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة الإسلامية، 1926م، ج1، ص397.
- (42) الطبري: الرسل والملوك، ج2، ص562 - 563.
- (43) المصدر نفسه: ج5، ص28 - 57.
- (44) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص132؛ المسعودي، مروج الذهب، ج2، ص397.
- (45) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص136؛ ابن كثير، البداية، ج5، ص333؛ الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، ج2، تحقيق: لجنة من كبار العلماء، بيروت، دار الكتب العلمية، (د.ت)، ص212.
- (46) يزيد بن شجرة الرهاوي: نسبة إلى الرها وهو شامي من مذبح وله صحبة، استشهد سنة (58هـ/677م) في البحر في خلافة معاوية بن أبي سفيان وكان أمير الجيش في غزو الروم. ابن حبان: الثقات، ج3، ص225).
- (47) هو شيبه بن عثمان بن أبي طلحة عبدالله بن عبدالعزيز بن عثمان بن عبدالدار بن قصي بن عثمان القرشي. ابن حبان، الثقات، ج3، ص186.
- (48) ابن عساکر: أبو القاسم بن الحسين بن هبة الدين الشافعي، (499هـ/1176م) تهذيب تاريخ دمشق الكبير، ج6، هذبه عبدالقادر بن بدران، بيروت: دار المسيرة، ط2، 1979م، ص352.
- (49) المسعودي: مروج الذهب، ج2، ص223.
- (50) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص159-160.
- (51) هو المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب بن مالك بن كعب بن عمرو بن سعد بن عوف بن قيس الثقفي، ابن حبان، الثقات، ج3، ص372.
- (52) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج5، ص160، 161؛ الفاسي: العقد الثمين، ج1، ص183.
- (53) ابن الأثير: البداية والنهاية، ج3، ص267؛ الفاسي: شفاء الغرام، ج2، ص212.
- (54) الحموي: شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت، معجم البلدان، مج2، بيروت: دار صادر، ص219.
- (55) البكري: معجم ما استعجم، ج1، ص8؛ الحموي، معجم البلدان، ج2، ص218.
- (56) جواد علي: المفصل، ج1، ص167-168.
- (57) الحموي: معجم البلدان، ج2، ص219.

- (58) ابن العربي: أبوبكر عبدالله المعافري الأندلسي (ت532هـ 1137م)، العواصم من القواصم، القاهرة: مكتبة السنة، ط6، 1412هـ.
- (59) الخربوطلي: الدولة العربية، ص168.
- (60) الطبري: الرسل والملوك، ج6، ص180.
- (61) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج3/ ص508.
- (62) ابن الطفطقا: الفخري، 104.
- (63) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج3/ ص509.
- (64) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج6/ ص123.
- (65) نفسه ، ج 7 / ص214.
- (66) الطبري: الرسل والملوك ، ج8/ ص81.
- (67) الطبري ، ج8، ص 117.
- (68) نفسه ، 168.
- (69) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي، ج2/ 269.
- (70) المسعودي: مروج الذهب، ج3/ ص123.
- (71) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج6/ ص274.
- (72) ابن عبدربه: العقد الفريد، تحقيق: أحمد الزين، إبراهيم الأبي اري، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، (1928هـ)، ج1/ ص299.
- (73) الطبري: تاريخ الرسل والملوك، ج8/ ص90.
- (74) الطبري: الرسل والملوك، ج8/ ص80.